صحة الأم وطفلها

في كتاب فردوس الحكمة للطبري

الدكتور سامي خلف الحمارنة

مقدمة : في هذه المقالة الموجزة ، محاولة تهدف الى شرح كيفية رعاية صحة الأم وسلامتها ، وتكوين الجنين ونموه في الرحم وبعد الولادة الطبيعية ، وتدرجه أيام الطفولة زمن الرضاعة ، ثم الفطام والترعرع حتى الصبا ، وذكر مايصيبه من أمراض وأوجاع ، ورده الى العافية . هذا ضمن العلاقة الطيبة بين الطبيب الممارس من ناحية ، والمريض وذويه من ناحية أخرى ، والاهتمام برفع المستوى المهني الصحي للأسرة والمجتمع عامة ، ومن أجل خير الانسانية .

أما موضوع الحديث فيدور مبدئيا حول دراسة تاريخية مقارنة لعدة اقتباساتٍ فصول مختارة من الموسوعة الطبية : كتاب فردوس الحكمة للطبري ، أهداه في حدود سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م لخزانة الخليفة العباسي المتوكل . وللكتاب مخطوطات أصيلة باقية ، كما تمّ تحقيقه ونشره مع تعليقات وتفسيرات هامة تساعدنا في تقييم أبعادها صحيا ومهنيا ، وتقرير ماتعكسه من سمات قائمة بينها وصلات حضارية متفاعلة معها ، ليكون الطفل وأمه اصحّاء معافين جسماً ونفساً[1] .

الطبيب الفيلسوف الطبري : هو أبو الحسن علي بن سهل ربّان[1] (وفي

[(1) ورد في المصادر العربية « ربن » براء مهملة مفتوحة وباء موحدة مشددة مفتوحة ونون (انظر الاكال لابن ماكولا ، والمشتبه للذهبي ، والتبصير لابن حجر ، والتوضيح =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السريانية يعني المعلم المبجل) الطبري (أصله من بلاد طبرستان جنوب بحر الخزر) ، من أشهر أطباء وفلاسفة الاجتماع الدينيين في القرن الثالث الهجري . كان أبوه ، سهلٌ المعلم هذا ، من أسرة عريقة في مجال العلوم الدينية والفلسفة والحكمية ، وقد خدم في وظائف حكومية رفيعة في مدينة مرو وغيرها ، « وهو من ذوي الأحساب والآداب ، وكانت له همّة في ارتياد البر ، وبراعة ونفاذ في كتب الطب والاشتراع ، وكان يقدم الطب على صناعة آبائه ، ولم يكن مذهبه فيه التمدح والاكتساب بل التأله والاحتساب »[2] .

وقد قام سهلٌ بتثقيف عليٍّ ولده هذا وتهذيبه ، فعلّمه العربية والسريانية والفارسية والعبرانية وربما اليونانية ، ثم شجعه على دراسة الفلسفة والأدب والهندسة وعلم النجوم والطب عمه أبو زكار يحيى بن النعمان والذي عرف بالجدل والبراعة في المنطق حتى بات معروفا في أفق العراق وخراسان . وبعد الفراغ من اكتساب المعارف والتعلم ، توجه عليٌّ هذا الابن ، الى طبرستان للعمل والممارسة ثم الى العراق بعد أن اشتهر أمره وذاع صيته في الطب والادارة[٢] .

ومع اشتهار الطبري هذا ، فاننا لانعرف الكثير عن تفاصيل حياته ، وقد عددنا أهمها في الملاحظات ومن خلال دراسة كتاباته والمراجع التاريخية المعاصرة ، وبذلك نستطيع أن نتكهن بأن ولادته كانت حوالي

لابن ناصر الدين ، وتاج العروس للزبيدي) . ويقول الطبري في تفسير تلقيب أبيه بربن : « وكان أبي من أبناء كتاب مدينة مرو ، وذوي الأحساب والآداب بها .... فلقب لذلك بربن ، وتفسيره : عظيمنا ومعلمنا » (فردوس الحكمة / ط برلين ، ص ١) / لجنة المجلة] .

[(2) فردوس الحكمة / ط برلين ، ص ١ / المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عام ١٦٥ هـ / ٧٨١ م . وقد مارس المهنة بعد دراسته وتخرجه للحياة العملية ، وكان هدفه دوما رفع مستوى هذه المهنة الشريفة ، ومساعدة المرضى والمحتاجين بكل السبل ، وفي ذلك يقول : « ولم أزل بمنّ الله وتوفيقه أحب الخير وأجود تيسوره ، وتسمو نفسي الى ماهو أعمّ للناس نفعا وأبقى على وجه الدهر مما نالته يدي منه ، اذ كان أفضل الخير أعمّه وأدومه ، فلم أر ذلك يسهل الاّ للملوك ، ثم لواضعي الكتب في الآداب المحمودة ، مثل علم الطب الذي يحتاج اليه كل انسان وفي كل حين ، ويمتدحه أهل كل دين » . واذ كان ينوي تأليف كتاب جامع شامل في الصناعة ، قام بدراسات واسعة حيث يقول : « فتهيأ لي بعون الله سرّ من أسرار الحكمة ، وكنز من كنوز الصناعة ، وكنّاش يحيط بأكثر مما يتمنّاه المتمني ويبلغه الواصف من علم الطب ومعرفة أصول هذا العلم وفروعه »[٣] .

وكان عليٌّ آنذاك يعمل كاتبا مساعدا لامراء طبرستان ، وآخرهم مازيار بن قارن الذي مات مقتولا حوالي ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م ، بعدها دعي هذا الطبيب الفذّ الى بلاط الخليفة المعتصم في سامرّاء ، وعلى أثر ذلك استمر تقدمه في الخدمة والعلم والعمل زمن المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) ، حتى تبوأ مركزاً مرموقاً ، اذ أدخله الخليفة في جملة ندمائه . وفي هذه الأثناء ، بالاضافة لانشغاله بمهام النصح والارشاد وادارة الدولة وفي أمور القصر ، فإن الطبري قد واصل جهوده في الانتاج العلمي الطبي والتصنيف حتى وفاته في بغداد قبيل وفاة الخليفة المتوكلّ نفسه[٤] .

تصانيف الطبري الهامة : في كتاب الفهرست لابن النديم ، والذي أكمله في العاصمة العباسية حوالي ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، ذكر أربعة كتب طبية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلاجية للطبري[3] تمّ تألفيها في العاصمة العباسية ، في حين أن مؤرخ الطب الذائع الصيت ، موفق الدين ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الانباء ، ذكر له تسعة من التصانيف . الاّ أن كلا المؤرخين : ابن النديم وابن أبي أصيبعة أهملا ذكر كتابه . الدين والدولة ، والذي دافع فيه المؤلف ناصراً ومؤيدا لنبوّة المصطفى عليه الصلاة والسلام واعجاز القرآن الكريم[5] .

ومع أهمية وشهرة كتاب الدين والدولة ، النادر نظيره في العصر العربي الذهبي هذا ، بقي ذكره محدودا بل ومهملاً في الأوساط الدينية والفلسفية والتشريعية بين علماء المسلمين لما يزيد على ألف عام من الزمن ، مع ندرة وجود أية مخطوطات لهذا الكتاب ، حتى تمّ تحقيقه ونشره في القرن العشرين ، أولا في مجلة المقتطف الموقرة بعد أن نشره الباحث المحقق منفانا العراقي الأصل ، وتمّ نشره في كل من بيروت وتونس في عصرنا هذا ، ليكون متداولاً بين أيدي القرّاء والمهتمين بالتراث العربي شرقا وغربا[6] .

فردوس الحكمة : على أننا في ورقة العمل هذه ، نقتصر بالبحث على بعض فصول من كتاب فردوس الحكمة ليس الاّ ، في اقتباسات وشروح تدور حول ذكر حفظ صحة الطفل والأم لسعادة الأسرة ونجاحها[7] . وقد سبق الطبري في تصنيف فردوس الحكمة ، عالم وطبيب دمشقي الأصل عربي المحتد ، اشتهر هو وعائلته لثلاثة أجيال متعاقبة ، في رفع مستوى العلوم الطبية والاهتمام بالمعالجة وشفاء الأمراض ، أولا زمن الخلفاء الأمويين ،

[(3) ثم ذكر له كتاباً خامساً في الآداب والأمثال ـ انظر الفهرست لابن النديم (القاهرة ـ ط الاستقامة) : ٤٢٦ ، ٤٥٣ ، (ط فلوغل) : ٢٩٦ ، ٣١٦ / المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعدها في فجر العصر العباسي الأول زمن الحفيد ، الطبيب ، الجراح والمعالج عيسى (المشهور بمسيح) بن الحكم الدمشقي ، وأهمّ كتبه الرسالة الياقوتية والمعروفة بالهارونية نسبة الى الخليفة العباسي هارون الرشيد ، والذي اليه أهديت هذه الرسالة حوالي ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م في بغداد ، تبحث في الأمراض والمعالجات ونظريات الطب عامة ،[٨] ، الاّ أن كتاب فردوس الحكمة للطبري فاق شهرة لشموله بمثابة دائرة معارف طبية ، جامع لمحاسن كتب الأولين والاخرين ليكون إماماً لها ودليلاً ، وقد نشره في حينه بالعربية وبالسريانية معا ، لتعمّ فائدته ويصدق ناقله وحافظه ، تمّ تأليفه عام ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م[4] ، بعد عمل شاق من جمع وتقرير وتفسير وتوقف عن العمل لأسباب قاهرة ، في حوالي عشرين عاما ، فخرج في حلة قشيبة ، كثير المنافع عميم الفوائد والعبر ، حتى إن القاضي القفطي أشاد به بعد نحو ٢٥٠ عاماً ، فوصفه بأنه ، « كتاب مختصر جميل التصنيف ، لطيف التأليف »[٩] .

والكتاب يشتمل كما هو معروف ، على اقتباسات ونقول لعدد من علماء وأطباء من الأغريق والرومان في القرن الخامس ق . م منذ بدء الكتابات الأبقراطية ، واكتمال تصانيف جالينوس (١٢٩ ـ ٢٠٠ م) ومن سبقه ولحق به حتى بولص الاجانيطي (حوالي ٦٤٠ م) ، بالاضافة لكتابات الهنود مثل سشراتا وشراكا ونيدانا ، وكناشات وملخصات سريانية وفارسية مفيدة ، زد على ذلك ماسمعه الطبري واختبره واستفاد

[(4) يقول علي بن ربن الطبري : « ... ولقد اجتمع ذلك لي في عدة سنين ... فساق ذلك ايضاً عما أردت ، الى الوقت الذي اذن الله تعالى في اتمامه في مدينة (سرّ من رأى) ، وذلك في السنة الثالثة من خلافة العدل المؤيد الوهاب جعفر الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين » (فردوس الحكمة / ط برلين ، ص ٢) / المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منه ورآه ، فصار الكتاب حافلا بكل نفع ، ومرشدا لطلاب الطب والمهن الصحية المختلفة ، علما وعملا . وعلى حدّ قول المؤلف : « فانما أنا فيما ألّفْتُ ، كمن وجد جوهرا منثورا فنظم منه سلكا ، ليكون ذخيرة باقية وموعظة دائمة ، تقاس بخزانة (كتب) كثيرة الذخائر والجواهر والأعلاق »[5] .

أما بين معاصريه، فلم يذكر الطبري غير يحيى بن ماسويه طبيب الملك، والطبيب الترجمان النذائع الصيت أبي زيد حنين بن اسحق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٠ هـ / ٨٠٩ ـ ٨٧٣ م) ، تلميذه وزميله[10] .

آداب الطبيب والخدمة الصحية : يضع الطبري في كتابه الفردوس ، الذي لقّبه ببحر المنافع وشمس الآداب[6] ، مقدمة واضحة شاملة تساير العمل الطبي المتكامل ، قوامها الطبيب والمريض وأهل المريض ، بغية الوصول الى خدمة صحية أفضل أسلوبا ونتائج . فالطبيب الفاضل يعمل بتفان لمساعدة المريض بالتعاون مع أهله بغية شفائه ، وفي ذلك يقول المؤلف : ما يدرك شيء من أمر الدنيا والآخرة الاّ بالقوة ، ولا قوة الاّ بالصحة ، ولا صحة الاّ باعتدال المزاجات الأربعة ، ولا معدّل لها باذن الله الاّ أهل هذه الصناعة الذين تجردوا بسياسة[7] أنفس الناس وأبدانهم ، وصاروا مفزعهم حين لامال ولا عشيرة تنفعهم . وقد اجتمعت (للاطباء الموءاسين المخلصين) خمس خصال لم يجتمعن لغيرهم ، لخير المريض صغيرا أو كبيرا ولرفاهة الأسرة وسلامتها[11] .

[(5) فردوس الحكمة / ط برلين ، ص ٣ / المجلة]

[(6) فردوس الحكمة / ط برلين ، ص ٨ / المجلة]

[(7) هكذا جاءت في فردوس الحكمة (ط برلين) : ٤ ، ولعل الصواب : « تجردوا لسياسة ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) الاهتمام الدائم بما يرجون به ادخال الراحة الى أنفس الناس كلّهم .

(٢) مجاهدتهم أمراضا وأسقاما غائبة عن أبصارهم ، لمعرفة تشخيصها .

(٣) اقرار الملوك والسوقة بشدة الحاجة اليهم ، وفي كل زمان ومكان .

(٤) اتفاق الأمم كلّها على تفضيل صناعتهم ، اذ غايتها القصوى سعادة الانسان .

(٥) الاسم المشتق من اسم الله لهم (فالاطباء هم الأواس أو الآسيات ، والأسُوُّ هو الدواء ، والتأسية المعالجة)[8] ، فعلى قدر شرف هذه الصناعة ورفع مرتبتها وعموم منفعتها يكون مدى علو همم أهلها ، ثم ان العناية الصحية هي المقياس لحضارة الأمة ، وأنه لم يستحق أحد من الأطباء اسم الكمال فيها الاّ بأربع خصال هُنَّ : الرفق والقناعة والرحمة والعفاف ، وأن يكون الآسي مع هذا ، أرقّ على المريض من أهله بعطفه وحنانه ، وأخفّ مؤونة عليه من نفسه .

والطبري يوصي الطبيب زميله ، « بأن يجعل همته في الفعل دون القول . لأن زيادة الفعل على القول مكرمة ، وزيادة القول على الفعل منقصة ، ويكون حرصه على جميل الذكر والاجر لاعلى الاكتساب والجمع » ، وألاّ يغالي أو يتطرف في مزاجه ، ويتوخى من كل شيء

[(8) في الكلام تسمح شديد ، صوابه ماجاء في معجمات اللغة :ـ الأسا ، بفتح الهمزة ، مقصور : المداواة والعلاج .

ـ أسا الجرحَ والمريضَ أسْواً وأساً : داواه وعالجه .

ـ الأسُوُّ (على وزن عدُوّ) والإساء (على وزن كتاب) : الدواء ، والجمع آسية . يقال : جاء فلان يلتمس لجرحه أسُوّاً يعني دواءً يأسو به جرحه .

ـ الآسي : الطبيب ، والجمع أساة (كقضاة) ، وإساء (كرِعاء) ، وآسون . والمرأة آسية ، والجمع أواسٍ وآسيات .

ـ أما التأسية فمعناها التعزية / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أفضله وأعدله ، ولا يكون قدما[9] ولا مكثارا ، ولا خفيفا ولا مستثقلا ولا منحرف السلوك ولا محقور اللباس ، ولا مشهورا ولا معجبا بنفسه مستطيلا على غيره ، ولا محبا لسقطات أهل صناعته بل يستر عليهم زلاّتهم وعيبهم ، فانه اذا فعل ذلك طاب ذكره وظهر فضله .

ثم ان أفاضل الحكماء قالوا انه لاينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية ولا يعجل بالقضايا الاّ بعد التثبت والرّوية ، ولا يغتر بالتجربة اتباعا لقول أبقراط : « العمر قصير والصناعة طويلة والزمان مسرع عجول ، والتجربة خطر والقضاء عسر ... ورأينا دواء واحدا قد نفع قوما وأضرّ بآخرين ، وليحذر الطبيب استعمال الأشياء الضّارة والقاتلة فانها ضد هذه الصناعة ، فيجدر الامتناع عنها كلّيا »[11] .

صحة الطفل والأم : في كتاب الفردوس يلقي المؤلف ضوءا على بعض الآراء والنظريات المختصة بعلمي الاجنّة والأطفال في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، ولعلها الأولى من نوعها في الطب العربي . فمثلا يؤكد الطبري أن أطباء اليونان قالوا إن الوليد يشبه والديه في عوالم الانسان والحيوان والطيور ، فيتشابه معه في لونه وصوته وصورته ومنظره الخارجي وحتى في عاداته وسائر أفعاله ، « كما يشبه ماينبت من نوى التمر النخلة ، وما ينبت من عجم العنب الكرم في لونه وطعمه ورائحته وقواه كلّها »[10] .

[(9) هكذا جاءت في فردوس الحكمة (ط برلين) : ٤ « ولا يكون قدما » بالقاف ، ولعل الصواب : « ولا يكون فدماً » بالفاء . والفدمُ من الناس : هو العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم / المجلة]

[(10) فردوس الحكمة (ط برلين) : ٣١ / المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي أمر تشريح الأعضاء التناسلية في الجسم الانساني ، يذكر مثلاً الرحم « وموضع الرحم عند آخر فقار الظهر .... ولها فم كهيئة الاحليل ... وفي آخر فمها بيضتان ، ولها عصبتان نابتتان من الداخل يسميان قرني الرحم ، وبهما تجذب الرحمُ الزرعَ الى داخل ، وفيها ثلاثة أوعية : يمينا ويسارا وفي المؤخرة ، تنضمّ عند الحبل ثمّ يتغير الزرع فيصير ويتحول بعد اليوم السادس الى مايشبه الرغوة ، وبعد ١٤ يوما يتغير الى مايشبه الدم ، وبعد ٢٦ يوما آخر شبه المضغة ، ثم ينتفخ ويربو كل يوم بأنفاس المرأة والهواء الداخل اليه ، ويصير في موضع ذلك السرّة ، والتي منها يتوصل الجنين الى استنشاق الهواء . فكلما تنفّس الجنين يكون ذلك عن طريق السرّة ، بحيث يدخل عليه الغذاء من الدم النازل من البدن فيحتبس حول القشرة التي هو فيها أي السَّلَى (الذي هو الغشاء الرقيق الفضي الشفاف ، الذي يغلف المشيمة ويولد داخله السائل الجنيني amnion, and the fetal amniotic fluid) والمرأة الحبلى لاتطمث لأن فضول بدنها تصير غذاء للجنين » .

ثم ان الطبري هنا يقتبس قول أرسطوطاليس بأن القلب هو أول ما يتكون من الجنين ، بعده الدماغ الذي هو موضع الحواس ومنبت العصب ، ومنه الحس والحركة . أمّا أبقراط فيقول بأن أول عضو يتكون في الجنين هو الدماغ والعين ، كما هو ظاهر في كون الفراريج . وأن صورة خلقة الجنين تتم في ٤٥ يوما ، ويتحرك في تسعين يوما ، ويولد في ٢٧٠ يوما (أي تسعة أشهر حسب الولادة الطبيعية) ، مما هو جدير بالتقدير في تاريخ تراث الطب العربي[١٢] .

ويؤكد الطبري على لسان جالينوس ، بأن أوفق الألبان للمولود ، لبن أمّه ، لاسيا اذا كانت صحيحة ، كما يوصي بوجوب اعطاء الأم الغذاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرارا في كل اليوم ، مثل الكشك والحنطة المطبوخة وغيرها وارضاع طفلها كذلك ، على أن لاترضعه حتى ينهضم طعامها ، وبأن تكدّ الأم وتتعب بمقدار ، وأن تتجنّب كل شيء حلو وعفصٍ أو حريف مثل الثوم والبصل والخردل والتوابل ، والحلتيت (= انحدان = ابو كبير ، شجرة من الفصيلة الخيمية asafetida , oleo - gum - resin from the root of (ferula foetida Regel , and other species) والكرفس (celery seed) ، وتنبت الأسنان في حوالي الشهر السابع أو بعده من أيام طفولته ، وان أكثر الصبي البكاء فكثرته تدلّ على وجع ، فليعرف موضع الوجع ، وعلى الأم أن ترقص ولدها وتتوقّى عليه من شدة الرباط والحرّ والبرد ، ومن أي صوت شديد ومنظر هائل مخيف ، ولا ترضعه كثيرا ، فان كثرة الامتلاء تورث الكسل والخمول فذلك يمنعه من التريّض والامتداد وحرية الحركة ، وان عرض له سعال ، يسقى لباب حب القطنِ وربما العزيز وهو اللوز أو القنب . the hemp or Cannabis sativa Linn أو حب القنا أو الريباس ,black current or rhubarb يدّق مع عجين الشعير ، واذا بلغ المولود وقت الفطام يعطى طعاما مع العسل ، فاذا شب يعطى أغذية حارّة لطيفة .

ويأتي زمان التأديب في السادسة من عمره ، حينئذ يدفع الى معلم رحيم رفيق يداريه بالتخويف مرة وباللين مرة أخرى ، لأن الصبي ينتعش وينمو قويا بالسرور ، وينهك بدنه ويضعفه التخويف والغمّ ، فاذا بلغ الثانية عشرة من العمر ، يواظب الصبي على دراسة واتقان الخط والقراءة ، ثم النحو والنجوم والمساحة (الهندسة) ، وفي الرابعة عشرة يعلم الفلسفة والطب. وهي مهنة شريفة نافعة[١٤] .

ويحتاج المرء الى تناول الطعام ليحلّ محل مايتحلل منه ، وفي أعمال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البدن ونشاطاته ، وكذلك في أمر حفظ الصحة ، فان ذلك يكون أولا بادخال مايوافق البدن ، وثانيا باخراج مايتولّد من الأنفال . ومن الأصول الصحية ، ينصح المرء بأن يمشي رويدا رويدا بعد تناول العشاء ليختلط المطعم بالمشرب ، وأن النوم بعد انهضام الطعام يساعد على تجمّع الحرارة المنتشرة في البدن الى المعدة فيقوي بها الهضم ، وأن الاستحمام يكون أفضل قبل الطعام ، فانه يذيب الفضول ويخرجها ، ويكون العشاء قبل غروب الشمس بتناول أغذية خفيفة ـ نصائح مفيدة نتيجة حنكة ومقدرة الطبري واتساع خبرته .

وينبغي للطبيب أن يستعين على المريض بنفسه ، على أن يطيع أمره ويستمع لنصحه ، وكما الأهل أيضا الذين بدورهم ينبغي لهم أن يحاولوا الترفيه عن المريض فيما بينهم ، والاحسان اليه حتى لاينالـه شيء من الأذى ، وابعاده عما يضجره وينفره ، ومنع نقل الاخبار التي قد تزعجه أو تغضبه وتغيظه أو حتى تحزنه أو تفرحه كثيراً ، فيضطرب مزاجه وطبعه فيزيده ذلك ضعفا[١٥] .

وغالبا ماتقع بين المريض والمرض نفسه مصارعة ومنازعة ، فان تعاون الثلاثة : الطبيب والمريض وأهله ، فذلك يمنح المريض الغلبة على المرض وازالة آثاره ، فيتم الشفاء والاّ فلا . وان اشتهى المريض بعض مايضرّه بشهوة شديدة لايمانع منه ، وان كرهت طبيعته علاجا نافعا فيجب أن لايكره عليه ، لأن الطبيعة لكراهة ذلك لاتقبله .

فنجد في نصح الطبري الحكيم والمخلص ، لاسيما بأمر التعاون والاتفاق الثلاثي هذا ، بين الطبيب والمريض وأهله ، النفع الجزيل والمفعول الكبير ، فباتفاقهم يتّم ماهو الأفضل والأصح ، وغالبا مايكون للتعاون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا للمعالجة طريق النجاح ، وللمريض عاجل الشفاء . أمّا اذا اختلّ هذا النظام وأُسيء فهمه ، يرتبك المريض ويضعف ، وتكون الخسارة والحزن للأهل ، والفشل والكآبة لدى الطبيب الممارس[١٦] .

وفي الختام نشيد مرة أخرى بأهمية كتاب فردوس الحكمة لأبي الحسن الطبري ، ليس فقط بما يختص من جهة صحة الطفل والأم ، بل يتعدّاه لأمور طبية مفيدة ، من مراعاة حفظ الصحة عامة والعناية القصوى بالمرضى والترفيه عنهم بطرق حكمية ونظريات صائبة ، وان كانت بدايات بسيطة ، الاّ أنه لم يسبق ذكرها ، تستحق الاعتبار في التراث الطبي العربي الذهبي .

الحواشي والمراجع

(١) هناك على الأقل سبع مخطوطات معروفة لكتاب فردوس الحكمة لأبي الحسن علي بن سهل ربان [الصواب : ربن] الطبري (حوالي ٧٨١ ـ ٨٥٦ م) . وقد راجعت معظمها شخصيا وهي الآتية :

ـ ماتسمى بمخطوطة برلين بالمانيا الاتحادية رقم ٦٢٥٧ وتقع في ٢٤٤ ق تاريخ نسخها حوالي ٧٠٠ هـ [ذكرها بروكلمن والصديقي]

ـ مخطوطة طهران ـ دانشكاه رقم ٥٤٨٢ وتقع في ١٨١ ق كملت في منتصف القرن الثامن الهجري .

ـ مخطوطة رامبور بالهند ، تحت رقم طب ١٧١ وتقع في ١٨٢ ق [ذكرها بروكلمن]

ـ مخطوطة مكتبة آيا صوفيا باسطنبول رقم ٤٨٥٧ (٣) وهي ناقصة ، وتقع في ٥٣ ق ، نسخت في القرن السابع الهجري [ذكرها بروكلمن]

ـ مخطوطة غوتا في المانيا الشرقية ، رقم ١٩١٠ وهي ناقصة وتقع في ٤٣ ق كمل نسخها عام ١٠٠٨ هـ [ذكرها بروكلمن والصديقي]

ـ مخطوطة لكنو Lucknow بالهند وهي في مكتبة الحكيم كمال الدين [ذكرها الصديقي]

ـ ومخطوطة أرنديل شرقي رقم ٤١ (حمارنة رقم ٤٢) في المكتبة البريطانية في لندن ، المملكة المتحدة ، وتقع في ٢٧٦ ق ولكل صفحة ٢١ سطرا والحجم ١٧ × ٢٤ سم والخط مغربي وبعض الأوراق ناقصة ، تمّ نسخها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) [ذكرها بروكلمن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والصديقي] وقد فحصتها واستخدمتها في هذه الدراسة بجانب طبعة محمد زبير صديقي في برلين ، والحكيم محمد سعيد في همدرد ، انظر سامي حمارنة ، فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدنة المحفوظة في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٢ ـ ٣٥ .

(٢) محمد زبير صديقي ، تحقيق مع مقدمة لكتاب فردوس الحكمة طبع في برلين من وقف جيب التذكاري ، ١٩٢٨ ، وطبعة مؤسسة همدرد باشراف الحكيم محمد سعيد وحكيم رشيد ندوي ، اسلام آباد ـ كراتشي ، ج ١ (١٩٨١) مع ترجمة باللغة الأردية . انظر أيضا فؤاد سزكين ، تاريخ المخطوطات العربية (بالألمانية) ، ليدن ، بريل ، المجلد ٣ ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٤٠ ، وكارل بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ، ليدن ، بريل ، ج ١ : ٢٦٥ ، وملحق ١ : ٤١٤ ـ ٤١٥ ، [الترجمة العربية ٤ : ٢٦١ ـ ٢٦٣] وحمارنة ، بيبلوغرفاي في تاريخ الطب والصيدلة في العصر العربي الذهبي ، ١٩٦٤ ، شتتغارت ، المانيا (بالانكليزية) ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٣) لوسيان لكلير ، تاريخ الطب العربي (بالفرنسية) ، باريس ، ١٨٧٦ ، ج ١ : ٢٩٢ ـ ٣ ، وادوارد براون ، تاريخ الطب العربي (بالانكليزية) انكلترا ، ١٩٢١ ص ٣٧ ـ ٤٤ ، وحمارنة ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة ، دمشق ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٧٧ ـ ٨٢ ، ومعجم التراجم العلمية (بالانكليزية) Dictionary of Scientific Biography , نيويورك ، سكربنار ، ج ١٣ (١٩٧٦ : ٢٢٩ ـ ٢٣١ [فردوس الحكمة : ١ ، ٢]

(٤) فردوس الحكمة ، (همدرد) ، ص ١ ـ ١٧ ، ٣٥ ـ ٣٩ ، وماكس مايرهوف ، « عن حياة الطبري » ايزيس ، ج ١٦ ١٩٣١ ص ٦ ـ ٥٤ ، « ومآثر الطبري » ، المجلة البولندية الشرقية ، Folio Orientalia ج ١٢ ، ١٩٧٠ ص ٩١ ـ ١٠١

(٥) أبو الفرج محمد بن اسحق ابن النديم ، (٩٣٧ ـ ٩٩٥ م) ، الفهرست ، القاهرة مطبعة الاستقامة ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ، ٤٢٣ ـ ٩ ، وظهير الدين علي البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، ١٩٤٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، وموفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، القاهرة ، بولاق ، ١٨٨٢ ، ج ١ : ٣٠٩ ، وجمال الدين علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، طبعة ليبزغ ، ١٩٠٣ ، ص ٢٣١ .

(٦) سزكين ، تاريخ ، مرجع سابق ، ٣ : ٢٤٠ ، الفونس منغانا ، الدين والدولة ، مقدمة وتحقيق ، من النسخة النادرة في مخطوط مكتبة جون دايلاندر ، مانشستر ، انكلترا ، ١٩٢٢ ، والنص العربي وحده ، مجلة المقتطف ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، بالاضافة الى طبعتي بيروت وتونس بالتتابع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٧) فردوس الحكمة ، (همدرد) ، ص ٣٥ ـ ٤٨ ، ٥٥ ـ ٥٨ .

(٨) الطبيب أبو الحسن عيسى (مسيح) بن الحكم الدمشقي ، الرسالة الهارونية (أو الياقوتية أو الكافية) ، المهداة الى الخليفة هارون الرشيد في بغداد ومنها مخطوطات موجودة في المكتبة الأحمدية بتونس رقم ٥٤٢٦ ، والمكتبة العامة والوثائق القومية بالرباط رقم D 781 ورقم D 1101 ، وتحتوي على ٤٥ بابا في ثلاث مقالات ، وأخيرا مخطوطة مؤسسة ويلكم البريطانية في لندن رقم WM 81 تقع في ١٣٠ ق ، في أولها يقول : « الحمد لله الواحد الخالق جميع المصنوعات ومجري أجسام العالم الاستقصات ومسخر الأفلاك الجاريات كل ذلك على ارادته ومقتضى الكل على مشيئته وقدرته وسابق علمه مما يكون من نفع ومن ضرر أو خير أو شر أو فرح أو ترح ... وبعد فلما رأيت غرض أمير المؤمنين هارون الرشيد في احياء علوم الطب وفنونها وما قصد به من اقامة الاجساد ، وتأملت ذلك فرأيته موافقا لما جاء في الخبر بأن العلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان ، ورأيت كثيرا من المتقدمين قد سبقونا في هذا الفن ... فاستخرجت هذه الرسالة من كتب الأوائل » وفيها ذكر العناصر والأمزجة والفصول والرؤيا والطبائع وغرائز الأشياء ، والحمام والمياه والمساكن والرياح وتخصص الانسان الفهيم بالايمان والرأي والهوى والعقل ، وأن الدماغ مسكنه ، وأن القلب فيه روح الحياة ، ومشاكلة الانسان للحيوانات Comparative anatomy ومنافع الحيوانات ، وذكر الأطعمة والعقاقير بأنواعها الحارة والباردة وأسماء الأدوية العجيبة ، والأمراض وأسبابها وعلاماتها ، وأنواع الجراحة والبواسير والفصد والحجامة ، والأوزان والمكاييل ، والمعادن والأحجار الكريمة ، والحميات والمعالجات والوصفات الطبية . انظر سزكين ، مرجع سابق ٣ : ٢٢٧ ـ ٨ ، القفطي ، مرجع سابق ، ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق ، ١ : ١١٦ ـ ١٢٣ .

(٩) فردوس الحكمة (طبعة همدرد) ، ص ١٣ ـ ١٧ ، ٣٥ ـ ٤٨ ، جورج سارتون ، مقدمة لتاريخ العلوم (بالانكليزية) ج ١ ، طبعة ١٩٧٥ ، ص ٥٤٦ ـ ٩ ، وتاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ، عمان ، المطبعة الوطنية ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٣ .

(١٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٢٣ ـ ٩ ، وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق ، ١ : ١٧١ ـ ٢٠٠ ، وسزكين ، مرجع سابق ، ٣ : ٢٣١ ـ ٢٣٥ ، والموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٨٥ ص ١٠٧ ـ ١٢٥ ، ١٥١ ـ ١٥٣ .

(١١) فردوس الحكمة (طبعة همدرد) : ١٨ ـ ٢٢ ، ٣٥ ـ ٤٨ ، وتاريخ تراث ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ـ ٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٢) سامي حمارنة ، تاريخ تراث ، ص ٧٠ ـ ٧٦ ، وفردوس الحكمة (طبعة همدرد) ، ص ٤٤ ـ ٤٨ ، ٥٥ ـ ٥٨ ، ١١٥ ـ ١٢١ .

(١٣) فردوس الحكمة : ١١٥ ـ ١٢١ ، والطبيب الجراح العربي أبو الفرج ابن القف (الكركي) ، عصره وحياته وأعماله ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٣٤ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٩ .

(١٤) فردوس الحكمة (طبعة همدرد) ص ١١٥ ـ ١٢٣ ، ٢٧٣ ـ ٢٨٧ ، وحمارنة . « جامع الغرض لابن القف الكركي (بالانكليزية) » تحقيق د . عدنان حديدي Adnan Hadidi (editor) , Studies in the History and Archaeology of Jordan , Amman , Departmaent of Antiquities , 1982 , PP. 373 - 83 .

(١٥) فردوس الحكمة : ٣٧٥ ـ ٩ ، وابن أبي أصيبعة ج ١ : ٢٥٣ .

(١٦) فردوس الحكمة (طبعة همدرد) ، ٣٧٥ ـ ٩ ، وأبو العلاء صاعد بن الحسن المتطبب ، التشويق الطبي (أكمله حوالي ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م بمدينة الرحبة ، هدية لخزانة الرئيس أبي المكارم علي بن عبد الوهاب في ١٢ بابا) ، تحقيق اوتوشبيس ، جامعة بون ـ المانيا الاتحادية ، ١٩٦٨ م ، ق ٣ ـ ٢٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net